

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقفه في ختام رمضان

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنَفَحَاتِ شَهْرِ الصَّيَامِ، وَالتَّلَاوَةِ وَالْقِيَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُجْزِلُ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَيَتَقَبَّلُ عَمَلَ الْمُتَّقِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلَ الصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فـ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١)، وَاَعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ أَنْ وَقَّكُمُ اللَّهُ إِلَى طَاعَتِهِ، وَمَنَحَكُمُ فُرْصَةً لِلسَّعْيِ إِلَى جَنَّتِهِ، بِبُلُوغِ هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ، وَهَذَا كُمْ فِيهِ إِلَى الْعَمَلِ وَالثَّوَابِ الْكَبِيرِ، فَهَنِيئًا لَكُمْ بُلُوغُ مَسْكَ خِتَامِهِ، مِنْ لَيَالِيهِ وَأَيَّامِهِ، وَهَذَا هُوَ يُؤَدِّنُ بِالْانصِرَامِ مُودِّعًا، وَيَجْرِي بِالطَّائِعِينَ إِلَى الْجَنَّةِ مُسْرِعًا، وَالنَّاسُ فِيهِ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ نَصَحَ فِيهِ لِنَفْسِهِ، وَقَامَ بِحَقِّ رَبِّهِ، فَصَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَتَحَرَّى فِيهِ مَرْضَاةَ اللَّهِ، وَفَرِيقٌ آخَرَ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ، وَأَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، لَمْ يَرْعَ لِلشَّهْرِ حُرْمَتَهُ، وَلَا عَرَفَ لَهُ حَقَّهُ، وَمَا أَحْوَجَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْوَقْفَةِ الصَّادِقَةِ، فَأَمَّا الْمُقْصِرُ فَيَلْزِمُ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ، مُتَذَكِّرًا قَوْلَ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢)، وَأَمَّا الْمُطِيعُ لِرَبِّهِ، فَإِنَّهُ يَهْتَمُّ لِقَبُولِ عَمَلِهِ، لِيَكُونَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِي شَأْنِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٣)، فَهُوَ مُتَذَكِّرٌ لِإِحْسَانِ خَالِقِهِ، غَيْرٌ مُغْتَرٍّ بِعَمَلِهِ، مُدْرِكٌ أَنَّ مَا هُوَ فِيهِ إِنَّمَا

(١) سورة الحشر / ١٨ .

(٢) سورة الزمر / ٥٣ .

(٣) سورة المؤمنون / ٦٠ .

هُوَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَتَوَفِيْقِهِ، وَلِذَلِكَ يُرَدُّ مَا قَالَهُ الْمُتَّقُونَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١).
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ لِلْقَبُولِ وَالرِّبْحِ عَلَامَاتٍ، وَلِلْخَسَارَةِ أَمَارَاتٍ، وَإِنَّ مِنْ عَلَامَةِ قَبُولِ الْحَسَنَةِ فِعْلَ الْحَسَنَةِ بَعْدَهَا، وَمِنْ عَلَامَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ عَلَى إِثْرِهَا، فَاتَّبِعُوا الْحَسَنَاتِ بِالْحَسَنَاتِ تَكُنْ عَلَامَةً عَلَى قَبُولِهَا، وَاتَّبِعُوا السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ تَكُنْ كَفَّارَةً لَهَا وَوَقَايَةً مِنْ خَطَرِهَا، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي أَلْتَهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ أَلْسَيَّعَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِينَ﴾^(٢)، وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثَمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))، وَمُدَاوِمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الطَّاعَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْبِرَاهِينِ عَلَى الْقَبُولِ وَحُسْنِ الْاسْتِقَامَةِ، وَإِذَا انْقَضَى رَمَضَانٌ فَإِنَّ الصِّيَامَ لَا يَزَالُ مَشْرُوعًا فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ، فَقَدْ أَوْصَى نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَسَنَّ ﷺ لِأُمَّتِهِ إِتْبَاعَ صِيَامِ رَمَضَانَ بِصِيَامِ سِتِّ مِنْ شَوَّالٍ فَقَالَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ اتَّبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ))، وَلِنَحْذَرِ الْمَعَاصِيَ - إِخْوَةَ الْإِيمَانِ - بَعْدَ شَهْرِ الْغُفْرَانِ، وَتَذَكَّرُوا وَأَنْتُمْ تُودَّعُونَ شَهْرَكُمْ سُرْعَةً مُرُورِ الْأَيَّامِ، وَانْقِضَاءِ الْأَعْوَامِ، فَإِنَّ فِي مُرُورِهَا عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَعِظَةً لِلْمُتَعِظِينَ، ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٣)، وَالْعُمْرُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فُرْصَةٌ لَا تُنَحُّ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَإِذَا مَا ذَهَبَتْ هَذِهِ الْفُرْصَةُ، فَهِيَ هَاتِ أَنْ تَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْاسْتِغْفَارَ هُوَ خِتَامُ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي آخِرِ

(١) سورة الأعراف / ٤٣ .

(٢) سورة هود / ١١٤ .

(٣) سورة النور / ٤٤ .

عُمُرِهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(١)، وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ ((كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ثَلَاثًا))، وَيُخْتَمُ بِالِاسْتِغْفَارِ قِيَامُ اللَّيْلِ، فَاللَّهُ تَعَالَى مَدَحَ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٢)، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَمَ صِيَامُ رَمَضَانَ بِالِاسْتِغْفَارِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَحُطَّ اللَّهُ عَنْهُ الْأَوْزَارَ، وَيَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ، فَلْيَكْتِزْ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ، لَا سِيَّمَا فِي وَقْتِ الْأَسْحَارِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَوَدِّعُوا شَهْرَكُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَكْتُبُكُمْ مِنَ الْعُنُقَاءِ مِنَ النَّارِ، وَاعْزِمُوا مُوَاصَلَةَ الصَّالِحَاتِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ؛ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، سُبْحَانَهُ أَمْرَ عِبَادِهِ بِمُوَاصَلَةِ الطَّاعَاتِ، وَإِعْمَارِ الْأَوْقَاتِ بِأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، خَيْرٌ مَنْ عَرَفَ حَقَّ رَمَضَانَ، وَوَأَصَلَ بَعْدَهُ الْخَيْرَ وَالْإِحْسَانَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَخِي الْمُسْلِمَ:

تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْكَ صِيَامَكَ، وَوَفَّقَكَ لِإِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفِطْرِ عَنْ نَفْسِكَ وَعِيَالِكَ، فَهَذَا شَهْرُ الصَّوْمِ يَسْتَأْذِنُ لِلرَّحِيلِ، وَيُوصِيكَ بِمُداوِمَةِ الطَّاعَةِ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، وَالرَّبُّ يُطَاعُ فِي كُلِّ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ، وَلَيْسَ فِي رَمَضَانَ فَقَطُّ، وَبِغُرُوبِ شَمْسِ آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ تَسْتَقْبِلُنَا زَكَاةُ الْفِطْرِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ -، وَهِيَ مَا يُخْرِجُهُ

(١) سورة النصر / ١-٣ .

(٢) سورة الداريات / ١٧-١٨ .

المرء عن نفسه وعمّن يلزمه عوله بسبب الفطر من رمضان، وهي على الرغم من كونها يسيرة في مقدارها، ولكنها جليّة عظيمة في معناها، فهي تقوية لما تأسل في رمضان من معاني النبل والكرم في نفوس المؤمنين، وفيها لفت لانتباههم إلى المحتاجين من إخوانهم، فلا يشغلهم عنهم فرح ولا عيد، بل يحرص كل فرد منهم على إسعاد أخيه، ومشاركته في فرحته، فاهنأوا - عباد الله - بيوم عيدكم، وأدوا زكاة الفطر طيبة بها نفوسكم، واحرصوا على أن تعم فرحة العيد جميعكم، وأنفقوا فيه على أولادكم وأهلكم، من غير إسراف ولا تبذير، فالإسراف مذموم، وصاحبه من أجر الإنفاق محروم، سواء كان في الملبس أو المأكّل، أو غيره من أمور الحياة، ﴿بَيْنِي وَآدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

(١) سورة الأعراف / ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالنُّقَىٰ وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ.
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا، وَعَمَلًا صَالِحًا،
 وَعِلْمًا نَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
 اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ،
 وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.
 اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ
 الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ
 رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ،
 وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيْثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ،
 وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.
 اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا
 فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
 رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
 اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ،
 إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.